



أصبح الوضع في دمشق أكثر كارثية من أن نستمر بطلب التواطؤ العاطفي مع المدن الثائرة، لأن العيون الدمشقية ذاتها تلطفت بمشاهد شلالات الدماء بعد أن تسربت إليها من حمص ودرعا وإدلب. ثمة قضية تقتات من دمنا جميعاً، وتفتت عظامنا حتى أصابتنا الهشاشة، ماذا يبقى لنا حين يغتالون دمشق؟ المصيبة هنا أكبر من تصريحات نعامة تواري رأسها بالتراب، وغراب ينبع على الأعتاب، وبيغاء يردد على مسامعنا ما حفظناه وصرنا نتقأ من سماعه. فما السبيل لوقف تطاير الحمم من البركان الثائر؟

مسلسل التفجيرات الإرهابية المزعومة لا تعرض حلقاته إلا بوجود لجان المراقبة (المتفرجين) وكأن المخرج قد خصّهم بهذه الحلقات الفريدة التي تحمل توقيع الحسون وممهورة بخاتم المعلم وصادرة عن الديوان الرئاسي الأسد، هؤلاء الذين تحالفوا مع الشيطان كي يشعلوا الشرق الأوسط حرائق ويمطروه زلزال وحتم بركانية تحت شعار: (الأسد أو نحرق البلد). الصور الأولية لضحايا التفجيرات اليوم في دمشق تبدي أكثر ما تخفي من هول الكارثة، ولا تحتاج لقارئة الفنجان النزارية لتلقي بدلوها وتستقرئ مجھولاً لم يعد خافياً على أحد.

من يصدق أنّ ضحايا التفجيرات كانوا يسيرون في الشارع بالملابس الداخلية وبلا أحذية؟ مشهد لم نراه حتى على شاطئ الرمال الذهبية اللاذقية – الذي أصبح طابور أخضر لرامي مخلوف تحتاج تصريحاً رسمياً للدخول إليه وحجزاً مسبقاً على متن طائرات السكاي فيو.. ضحايا بلا ملابس وبلا أحذية ومكبلين الأيدي بوثاق... لا يمكن أن يكون حدثاً عرضياً عابراً.

مرة أخرى يرينا النظام الأسد ووجهه القبيح بوضوح سافر، إذ يحمل المعتقلين الذين قصوا نحبهم تحت التعذيب في السجون الأسدية ويضعهم مكان التفجيرات ليتخلص من جثثهم بطريقة سهلة، ويحيف بهم المراقبين ليمعن تحركهم بحرية ويفرض عليهم حماية أسدية وخارطة طريق أسدية ودليل سياحي فاخر يحمل هوية متملق من الدرجة الأولى. ويوجه العالم الأعمى أن ثمة عصابات مسلحة تهدد أمن البلد، فتكون له ذريعة كي يضرب بيد من حديد، ويستجدي المساعدات الدولية لمحاربة السلفيين الفارين من القاعدة، التي أصبحت شماعة المجرمين يعلقون عليها ضحاياهم كما يعلقون النجوم على أعواد المشانق. مسكينة هذه القاعدة كم تحملت اتهامات، ليتها قامت بارتكاب نصفها أو ربعها لما كنا وصل الحال بنا إلى

ما وصل. ثمة شياطين شريرة تدخل إلى أجسادنا وتفتت تلك الدمشق الجميلة التي تسكننا.

ثمة مهرجون من فئة الكمبارس لا يصلاحون حتى لأدوار البطولة في الكذب يحاولون اغتيال الجميلة، ويقودنها إلى الزج في أتون الصراع بقوة الجاذبية الخشبية لكراسي السلطة. وحدهم أنصاف المهرجين يمطون ظهور الموتى بدل ظهور الأحياء ليكسبوا جولة فاشلة. يطل علينا د. عزمي بشارة ليقول: "سوف يكشف التاريخ يوماً عن هوية مرتكب الجريمة العبيثية البشعة المتجسدة في تفجيرات دمشق. لا حاجة للاجتهد لمعرفة هوية المتضررين الأبرياء فأشلاؤهم في الساحات. ولكل واحد منهم حياة ودنيا ورواية. ولكن الجميع مدعو لمناقشة هوية المستفيد من مثل هذه التفجيرات حتى قبل معرفة هوية الفاعل. فهذه المناقشة المواطنية العربية وال السورية ضرورية وحاسمة لردع الفاعلين. فمن المستفيد؟" فكيف نرد على مثقف عربي يحمل مرجعية الكنيست الإسرائيلي بكلام يرضي قناعاته الأسدية؟

إن المستفيد من التفجيرات هو من يملك تاريخ مهني في الإرهاب، هو النظام السوري يا دكتور بشارة ولسنا بحاجة لنصيحة مبطرة بالحوار مع السلطة كجزء من الوطن وطرف في المناقشة والحوار... فلم لا توفر على نفسك عناء التحليل والنصائح التي لا تمسح دمعة أم ثكلت بأولادها، ولا زوجة فجعت بزوجها، ولا طفل بأهله، ولا حرة كريمة بعرضها الذي انتهكته كل القبائل العربية منذ عصر قحطان؟ لماذا يسقط أولئك الأطفال، والرجال، والشيخوخ والنساء الآن في سوريا؟ ومن المستفيد؟؟؟ سؤال يطرح نفسه ويجيب بأن معاً. لو كانت التفجيرات من فعل العصابات المسلحة المزعومة المعادية للنظام الأسدية ومن يواليه لوقعت في الأحياء الموالية للنظام، في مخطط 86 في دمشق مثلاً، أو في حي من أحياء الزهرة وعكمة الجديدة والزهوة في حمص، أو في القرداحة... أما أن تكون العصابات المسلحة قاتلاً ومقتولاً بأن معاً فمن يصدق هذه الخرافية؟ فقط في سوريا يتحول الدم إلى ذهب ويكتد بالذهب فوق الذهب. وليس هناك من يقول: أيها السيد الضمير.. متى تصحو؟ الحقائق أصبحت ناصعة كالشمس وأكبر من أن يتسع لها بطن النعامة التي لا تزال تراوغ رغم كل ذلك الموت الذي يزداد سوريا قطعة قطعة، وطفلاً طفلاً وصرخة صرخة. هذا المرض العossal الذي يشلّ الروح يفترض اجتناثه. ولابد من جدار تبنيه العصابات المسلحة المرصعة بالذهب مع الشبيحة المرصعة بالدماء لتوقف أسراب الجراد التي تأكل سوريا الحبيبة يوماً بعد يوم. وعلى الأفواه الملأى بالعار أن تمتليء بالكلام، على أعضاء المجلس الوطني أن يحملوا قضية التفجيرات إلى محكمة العدل الدولية وإلى مجلس الأمن فوراً، كي تبدأ التحقيقات حول هوية الضحايا وزمن وفاتهم وسبب الوفاة، معززة بشهادة الطبيب الشرعي، ومؤثقة بالصور، قبل أن تقوم العصابة الأسدية بburial الضحايا في مقابر جماعية لدفن الحقيقة معهم في قبور الظلم. إن لم يفعلوا ذلك، ترقبوا مزيداً من التفجيرات، حتى تتحول دمشق إلى حمص ثانية، وحماء ثلاثة... كل السوريين وكل المراقبين يعرفون من هم أصحاب العقول العفنة الإرهابية المجرمة واحداً واحداً. ولكن إياكم أن ترفعوا الصوت، كي لا توقظوا الموتى....

المصادر: